

الفصل الثاني

ابتعائه إلى اليمن

obeikandi.com

لقد اختار الرسول — صلى الله عليه وسلم — معاذًا ليكون عامله وسفيره لدى أهل اليمن الذين وفدوا عليه وطلبوا منه أن يرسل إليهم من يعلمهم دينهم ويفقههم فيه .

وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يعامل أصحابه — رضي الله عنهم — بحسب استعداداتهم ، فيولي بعضهم لقدرتهم على القيام بمهام الولاية وينهي بعضهم عن مناصب الولاية لضعفهم عن تحملها ؛ فإن الإمارة والولاية والكتابة وما إليها يجب أن لا يتولاها إلا الكفاء القادر الأمين .

وقد تم ذلك بعد صلاة الفجر حيث نادى الرسول الكريم : يامعشر المهاجرين والأنصار ! هل فيكم من يذهب إلى اليمن ؟ فقام إليه عثمان بن عفان — رضي الله عنه — فقال : أنا يارسول الله . فقال النبي : اجلس ، فجلس . ثم نادى : يامعشر المهاجرين والأنصار ! هل فيكم من يذهب إلى اليمن ؟ فقام إليه عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال : أنا يارسول الله . فقال : اجلس ، فجلس . ثم نادى : يامعشر المهاجرين والأنصار ! هل فيكم من يذهب إلى اليمن ؟ فقام إليه أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — فقال : أنا يارسول الله . فسكت النبي — صلى الله عليه وسلم — فعلم أبو بكر فجلس . ثم نادى : يامعشر المهاجرين والأنصار ! هل فيكم من يذهب إلى اليمن ؟ فقام إليه علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — فقال : أنا يارسول الله . فقال النبي : اجلس ، فجلس . ثم نادى : يامعشر المهاجرين والأنصار ! هل فيكم من يذهب إلى اليمن ؟ فقام إليه معاذ بن جبل — رضي الله عنه — فقال : أنا يارسول الله . فقال النبي : هنيئاً لك يامعاذ !

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يامعاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك إلى اليمن » : قال معاذ : فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن لي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال : يامعاذ إني أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتفقه في القرآن . وحب الآخرة والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل . وأنهاك أن تشتم مسلماً ، أو تكذب صادقاً ، أو تعصى إماماً عادلاً . يامعاذ : اذكر الله عند كل حجر وشجر ، وأحدث مع كل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية » . وروى ابن عمر قال : لما أراد النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يبعث معاذ بن جبل إلى اليمن ركب معاذ — رضي الله تعالى عنه — ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — يمشي إلى جانبه يوصيه . فقال : « يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق ، أوصيك بتقوى الله » فذكر نحوه وزاد : « وعد المريض ، وأسرع في جوائح الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين ، وأنصف الناس من نفسك ، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم » .



٢ — نص وصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — لمعاذ بن جبل^(١) .

« أوصيك يامعاذ بوصية الأخ الشفيق . يامعاذ ! اتق الله وأمسك لسانك . فقال معاذ : ما شأن اللسان يا رسول الله ؟ فقال النبي : يامعاذ هل يكب الناس في النار على وجوههم إلا بحصاد ألسنتهم ؟ يامعاذ ! إن أكثر الناس إنما يعذب يوم القيامة أكثرهم كلاماً في الباطل . يامعاذ ! لاتشبع وجارك جائع . يامعاذ ! إذا شبعت فاذكر الجائع . يامعاذ ! ليس من الحلال ما أكلت بعد الشبع . يامعاذ ! من أطعم مسلماً جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة يوم القيامة .

(١) انظر مخطوطة باريس رقم ٥٠٧٥ الورقات ١٢ — ١٧ .

يامعاذ ! من سقى مسلماً عطشاً سقاه الله من رحيق مختوم . يامعاذ ! من كسا مسلماً عريانا كساه الله من حرير الجنة . يامعاذ ! من يلمس عورة المسلمين يلمس الله عورته يوم القيامة ، ويفضحه بها . يامعاذ ! من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة . يامعاذ ! كيف تنام والموت يطلبك ؟! يامعاذ ! كيف تضحك وجههم أمامك ؟! يامعاذ ! كيف تنام وأنت لاتدري أنت من أهل الجنة أم من أهل النار ؟! يامعاذ ! اتق الله ولا تأكل إلا طيباً ، فإن أول ما يسأل عنه ابن آدم إذا مات أكل الحرام ، يامعاذ ! يرحم الله من عباده الرحماء . يامعاذ ! من عادى عالماً على خصومته فإنه من سخط الله حتى يرجع إلى الله ، إنما يرحم الله برحمته كل رحيم . يا معاذ ! إذا كان يوم القيامة يخرج شيء من النار يكلم الناس ويسمع كلامه كل جارحة فيلتقط الظالم وأعوانه كما يلتقط الطير حب الشعير .

يا معاذ ! من حلل الحلال وحرم الحرام فقد نجا ، ومن تطهر يوم الجمعة بالماء — ولو كان يشتريه بمائة دينار — جلس في رياض الجنة . يا معاذ اتق الله ولا تحش لومة لائم . يا معاذ ! اذكر الله في كل مكان ، فإن ذلك المكان يشهد لك يوم القيامة . يا معاذ ! لا تصدق كاذباً ولا تكذب صادقاً ، ولا تبغض إماماً عادلاً . يا معاذ ! اجلس مجلس الفقراء والمساكين تحيي يوم القيامة وبين يديك نور ومن خلفك نور وعن يمينك نور وعن شمالك نور . يا معاذ ! ارفق بالفقراء والمساكين من غير أن تترك الحق ، ولا تتبع الباطل وتمسك بالحق . يا معاذ ! ما من أحد يموت إلا ويندم . فقال معاذ : لِمَ ندامته يا رسول الله ؟ فقال : إن كان محسناً ندم من عدم زيادة إحسانه ، وإن كان مسيئاً ندم من عدم نقصان معصيته من حيث لا ينفعه ندم ، فأشر الندامة يوم القيامة . يا معاذ ! قف قبل أن يقال لك : قف . يا معاذ ! احفظ الجار وابدأ ما لقيته بالسلام . يا معاذ ! عد المريض واجلس مع الفقراء والمساكين . يا معاذ ! كن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الشفيق . يا معاذ ! إياك

أن تجرح في وصيتي فأني أخشى أن لا تلقاني بعد هذا اليوم وإلى يوم القيامة .
فقال معاذ : قد قبلت وصيتك وأنا أطلب العون من الله . فدعا له رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : يا معاذ ! انصرف إلى اليمن .

وروي عن ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - قال : بعث رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل - رضى الله تعالى عنه - قاضيا إلى
اليمن ، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض
الصدقات من العمال الذين باليمن ثم أوصاه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وعهد إليه .

وكتب إلى أهل اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد
رسول الله إلى أهل اليمن : فأني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . وقع بنا
رسولكم مقدمنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما
كان قبلكم ونبأنا بإسلامكم وأن الله قد هداكم ، إن أصلحتم وأطعتم الله وأطعتم
رسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم
النبي والصفى ، وما على المؤمنين من الصدقة : عشر ما سقى البعل وسقت
السماء ، وما سقى بالغرب نصف العشر ، وإن في الإبل من الأربعين حقة قد
استحقت الرحل وهي جذعة ، وفي الخمس والعشرين ابن مخاض ، وفي كل
ثلاثين من الإبل ابن لبون ، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل
أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ذكر أو جذعة ، وفي كل
أربعين من الغنم شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين ، فمن زاد
خيرا فهو خير له ، فمن أعطى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على
الكافرين فإنه من المؤمنين له ذمة الله وذمة رسوله محمد رسول الله ، وإنه من
أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن
كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها وعليه الجزية في كل حالم من ذكر
أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافري أو عرضه . فمن أدى ذلك إلى
رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله

وللمؤمنين . وإنّ رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا أهله ، وإنما هي زكاة تؤدونها إلى فقراء المؤمنين في سبيل الله ، وإن مالك ابن مرارة قد أبلغ الخبر وحفظ الغيب فأمركم به خيرا ، إني قد أرسلت إليكم من صالح أهلي وأولي كتابهم وأولي علمهم فأمركم به خيرا ، فإنه منظور إليه . والسلام .

وكان الرسول بالكتاب معاذَ بنَ جبل .

•••

لابن عبد البر رأى آخر في سبب ابتعاث معاذ إلى اليمن ، وهو في ذلك يقول : (١) .

إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أراد أن يجبر معاذاً بعد أن باع كل ماله في دينه (٢) ، فلما كان عام فتح مكة بعثه النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى طائفة من أهل اليمن ، فمكث معاذ باليمن أميرا وكان أول من اتجر في مال الله .

وقال الطبري في تاريخه (٣) : إنه في سنة تسع ، قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مقرين بالإسلام ، مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين . فكتب إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان (٤) قيل ذي رعين وهمدان ومعاfer ، أما بعد

(١) الاستيعاب ، ص ٣٥٨ .

(٢) انظر ماسبق .

(٣) الطبري ، ج ٣ / ١٢٠ .

(٤) ابن هشام : « وإلى النعمان » .

ذلكم : فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا^(١) من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ مأرسلتم ، وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهدائه^(٢)، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم نبيّه وصفيّه ،^(٣) وما كتب على المؤمنين من الصدقة : من العقار^(٤) عشر ما سقت العين وماسقت السماء ، وكل ماسقي بالغرب^(٥) نصف العشر ، وفي الإبل في الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر^(٦) المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله ورسوله . وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن^(٧) عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو قيمته من المعافر^(٨) أو عرضه^(٩) ثياباً ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

(١) ابن هشام : « منقلبنا » .

(٢) ابن هشام : « بهداه » .

(٣) الصفي : نصيب الرئيس من الغنيمة .

(٤) العقار : الأرض التي تزرع .

(٥) الغرب : الدلو .

(٦) ظاهر : عاون وأزر .

(٧) ابن هشام : « لا يرد عنها » .

(٨) المعافر : ثياب اليمن .

(٩) ابن هشام : « أو عوضه » .

أما بعد : فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن : أن إذا أتتكم^(١) رسلي فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبدالله بن زيد ومالك ابن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وبلغوها^(٢) رسلي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبنّ إلا راضيا .

أما بعد : فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخذلوا فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله ، وإنما هي زكاة يتركي بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمركم به خيرا ، وإني قد بعثت إليكم من صالحني أهلي وأولى ديني^(٣) ، وأولي علمهم ، فأمركم بهم خيرا فإنه منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٤) .

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يحتفي بأهل اليمن ويقول : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم »^(٥) .

ومن ثم أوصى بهم النبي معاذا وقال له : « يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر » .

(١) ابن هشام : « أتاكم » .

(٢) ابن هشام : « أبلغوها » .

(٣) ابن هشام : « دينهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٦ .

(٥) صحيح البخاري ، ٩/٦ .

عن معاذ بن جبل قال : لما بعثني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى اليمن قال لي : بم تقضي إن عرض قضاء ؟ قال : قلت : أقضي بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : قلت : أقضي بما قضى به رسول الله ، قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول ؟ قال : أجتهد برأيي . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .



ثم ألقى عليه بنصائحه الغالية ، فقال : « إنك تأتي قوما أهل كتاب^(١) ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم . فإن هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم^(٢) . واتق دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » .



٣ — حياته في اليمن :

قال ابن إسحاق : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين بعث معاذاً أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ . وَبَشِّرْ وَلَا تُنْفِرْ : وَإِنَّكَ سَتَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، يَسْأَلُونَكَ : مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » . قَالَ : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن ، قام بما أمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأنته امرأة من أهل اليمن . فقالت : يا صاحب رسول الله ، ماحق زوج المرأة عليها ؟ قال :

(١) (قوما أهل كتاب) أى : اليهود ، فقد كثروا يومئذ في أقطار اليمن .

(٢) (كرائم أموالهم) : جمع كريمة ، وهى أفضل المال . سنن ابن ماجه ٥٦٨/١ .

ويحك ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنتعب منخراه قيحا ودما ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه مآديت حقه « (١) » .

ومكث معاذ في اليمن واستقر في مدينة جند^(٢) ، (بالجيم والنون المفتوحتين ودال مهملة في الآخر) ، وهي مدينة شمالي مدينة تعز ، على نصف مرحلة منها ، وحيث الطول خمس وستون درجة والعرض أربع عشرة درجة . وهي تبعد عن صنعاء ثمانية وأربعين فرسخا ، وعن ظفار أربعة وعشرين فرسخا . وقال الشريف الإدريسي : جند بين ذمار وبين زبيد ، وعلى القرب منها وادى سحول . وذكر ابن عبد الحكم في فتوحاته^(٣) ، أن النبي — صلى الله عليه وسلم — يوم بعث معاذ إلى اليمن حمله على ناقه ، وقال له : « يامعاذ ! انطلق حتى تأتي الجند ، فحيث بركت بك هذه الناقة فأذن وصلّ وابن فيه مسجدا » . فانطلق معاذ حتى إذا انتهى إلى الجند دارت به ناقته ، وأبت أن تبرك . فقال : هل من جند غير هذا ؟ قالوا : نعم ، جند رخامة . فلما أتاه ، دارت وبركت . فنزل معاذ ، فنأدى بالصلاة ، ثم قام فصلى ، فخرج إليه ابن يخامر السكسكي ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رسول رسول رب العالمين . فقال : ماتريد ؟ قال : أريد أن أقاتل من خالف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما قص عليه معاذ ما أوصاه به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له ابن يخامر : مرحبا بمن جئت من عنده ، ومرحبا بك ، ابسط يدك ، فبايعه ، ووئب إليه ثلة من الأشعرين ، ووئب إليه الأملاك أملاك

(١) الذهبي ، المغازي .

(٢) انظر القلقشندي ، صبح الأعشي : ١٤/٥

(٣) انظر فتوح مصر وأخبارها ، نشرة توري ، ليدن ١٩٢٠ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

ردمان . فقال ابن يخامر : إن العرصة التي بنيت فيها المسجد لي . فقال معاذ : خذ ثمنها . فقال : لا بل هي لله والرسول . فقاتل معاذ من خالف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالثلة من الأشعرين والأملوك ^(١) ، أملوك ردمان ، حتى أجابوه . فكتب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إني قاتلت حتى أجابني أهل اليمن بثلة من الأشعرين والسكاسك والأملوك أملوك ردمان . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « اللهم اغفر للسكاسك والأملوك أملوك ردمان ، وثلة من الأشعرين » ^(٢) .

وأصبح معاذ معلماً ومرشداً لأهل البلدين : اليمن وحضر موت ، وكان ينتقل في عمالة كل عامل بهما ^(٣) . ثم تزوج معاذ إلى بني بكرة ^(٤) ، حي من السكون ^(٥) ، امرأة أخوالها بنو زنكبيل يقال لها (رملة) وكان معاذ بها معجبا ، فكان يقول فيما يدعو الله به : اللهم ابعثني يوم القيامة مع السكون ، ويقول أحيانا : اللهم اغفر للسكون ^(٦) .

وظل يفقه الناس في أمور دينهم ويعلمهم القرآن وأحكام الإسلام وشرائعه ، وكان يصلي بهم الصلوات الخمس بالمسجد ، فصلى بهم صلاة

(١) بنو الأملوك : بطن من حمير ، انظر القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، ص ٩٣ .

(٢) وعن يزيد بن حبيب قال : إنه بلغه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ألا أخبركم بخير القبائل ؟ قالوا : بلى ! قال : الأملوك أملوك ردمان ، وفرق من الأشعرين وفرق من خولان والسكاسك والسكون » .

(٣) الطبري ، المرجع السابق ، ٢٨٨/٣ .

(٤) بطن من كندة من القحطانية ، وهم بنو ثعلبة بن عقبة بن السكون بن أشرس بن كندة . القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ١٧٩ .

(٥) قال الجوهري — بفتح السين — بطن من كندة غلب عليهم اسم أبيهم ، ف قيل : السكون ، وهم بنو السكون بن أشرس بن كندة ، القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ٥٩ .

(٦) الطبري ، المرجع السابق ، ٢٣٠/٣ — ٢٣١ .

الصبيح في إحدى المرات فقرأ سورة النساء ، فلما قال : «وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» (١) قال رجل خلفه : قَرَّتْ عين أم إبراهيم (٢) .

وكان يفتي الناس في أمور دينهم ودنياهم . وقد أورد الإمام البخاري عن الأسود بن يزيد قال : «أتانا معاذ بن جبل باليمن معلما وأميرا ، فسألناه عن رجل توفي وترك ابنته وأخته ، فأعطى الابنة النصف والأخت النصف» (٣) .

وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — لما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له : «أيا رجل ارتد عن الإسلام فادعه ، فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيا امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها ، فإن عادت وإلا فاضرب عنقها .

وفي حديث لأبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال له : « اذهب إلى اليمن ، ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ، ألقى له وسادة وقال : انزل ، وإذا رجلٌ عنده مُوثق ، قال : ما هذا ؟ قال : كان يهودياً فأسلم ثم تهود ، قال : لأجلس حتى يقتل ، قضاءً الله ورسوله » متفق عليه .

وفي رواية لأحمد : قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه . ولأبي داود في ذلك هذه القصة ، فأتى أبو موسى برجل قد ارتد عن الإسلام ، فدعاه عشرين ليلة أو قريباً منها ، فجاء معاذ فدعاه فأبى ، فضرب عنقه . (٤) .



(١) من الآية : ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) صحيح البخاري ، ٣٢٥/٥ .

(٣) الصحيح ، ٢٧٠/٨ ، جاء هذا النص بلفظ آخر قال : قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — النصف للابنة والنصف للأخت » . الصحيح ، ٢٧٢/٨ .

(٤) نيل الأوطار للشوكاني : ١٩١/٤ .

وقد وقعت في أيامه حوادث ردة الأسود العنسي ، وكان مشعبذا من قبيلة مذحج وعنس بطن منها ، وادعى النبوة وغزا نجران وسار إلى صنعاء ، فخرج معاذ هاربا حتى وصل مأرب ومنها لحق بحضرموت . وسيطر الأسود العنسي على اليمن واستطار أمره كالحريق . وكان معه سبعمائة فارس . ولما تزوج معاذ من السكون ، عطفوا عليه وعلى من معه . ولما جاء أمر الرسول الله — صلى الله عليه وسلم — بقتال الأسود ، قام معاذ في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين . وقتل الأسود العنسي ، فترجع أصحاب النبي إلى أعمالهم ، واصطلحوا على معاذ بن جبل فكان يصلي بهم في صنعاء . وكتبوا بذلك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأثاه الخبر من ليلته ، وقدمت الرسل وقد انتقل النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى جوار ربه صبيحة تلك الليلة ، فانقضت الأمور واضطربت الأرض ^(١) . وفي ذلك قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل وفاته : « إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله بيد رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدّقوا » .

وكان معاذ قد رأى فيما يرى النائم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد فارق الدنيا، ولما اشتد عليه هذا الهاتف ، أخذ يزمام راحلته متوجها نحو المدينة ، فتأكد لديه خبر وفاة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكان ذلك آخر عهد معاذ باليمن ، وكان ذلك في سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وبعد أن مكث هناك اثني عشر شهرا .

وكان عمال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، لما قبضه الله ، هم ^(٢) :
على مكة : عتاب بن أسيد بن العاص .
وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمي والمنذر بن سكون التيمي . وبعضهم يقول مكان العلاء ، أبان بن سعيد بن العاص .

(١) انظر حوادث الأسود العنسي في الطبري ، المرجع السابق ، ٢٢١/٣ — ٢٣٦ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٢ / ٢٢٧ — ٢٣٠ .
(٢) انظر تاريخ يعقوبي ، ج ٢ / ١٢٢ .

وعلى عمان : عبّاد وجيفر ابنا الجلندی . وقال بعضهم : عمرو بن العاص .
وعلى الطائف : عثمان بن أبي العاص .

وعلى اليمن : معاذ بن جبل وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري يفقهان
الناس .

وعلى مخاليف الجند وصنعاء : المهاجر بن أبي أمية المخزومي .

وعلى حضرموت : زياد بن لبید الأنصاري .

وعلى مخاليف اليمن : خالد بن سعيد بن العاص .

وعلى ناحية من نواحيها : يعلي بن منية التميمي .

وعلى نجران : فروة بن مسيك المرادي . وقال بعضهم : أبو سفيان بن
حرب .

وعلى صدقات أسد وطىء : عدي بن حاتم .

وعلى صدقات حنظلة : مالك بن نوية الحنظلي ، وقال بعضهم : على
صدقات بني يربوع .

على صدقات بني عمرو وقيم : أسمرة بن عمرو بن جثاب العنبري .

وعلى صدقات بني سعد : الزبرقان بن بدر .

وعلى صدقات مقاعس والبطون : قيس بن عاصم .

٤ — عودته من اليمن بعد وفاة الرسول — صلى الله عليه وسلم — :

خلف لنا معاذ بن جبل رواية حية لقصة بعثه إلى اليمن نوردها فيما يلي^(١) .

روى أبو العباس السفيناني عن أحمد بن عبد الله بن سلام عن معاذ بن
جبل — رضي الله عنه — أنه قال : كنت جالسا عند رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — في المسجد ، فقال : « يامعاذ قم فارحل راحلتك » قال :

(١) انظر مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٧١٠ ، الورقات ٥٣ أ — ٥٥ ب .

فانطلقت ورحلت راحلتي وشدت الزمام ، ووقفت حتى جاءني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسار قدر ميلين يوصيني ، وقال : قلت : لبيك ياسيد المرسلين . قال : أوصيك بتقوى الله ، وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ، وبذل السلام ، وكف الكلام ، وحسن العمل ، وكظم الغيظ ، وإياك أن تشتم مسلماً ، أو تطيع آثماً ، أو تصدق كاذباً ، أو تكذب صادقاً ، واذكر الله عند كل شجر ومدر ، وأحدث لكل ذنب توبة . يامعاذ : اذكر الله تجده أمامك ، وتوكل على الله يكفيك ، واسأله من فضله يعطك . يامعاذ ! الحذر : فإنك بعين الله ، وهو يراك ، وإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهو أقرب إليك من حبل الوريد ، عمل من يرى أنه قريب فإنه شاهد على كل نجوى ، مطلع على ما في الضمائر . يامعاذ ! اعلم أنك لاتلقاني إلى يوم القيامة ، يامعاذ ! إن أحبكم إليّ وأكرمكم عليّ من لقيني يوم القيامة على ما فارقتني عليه ، لم يغير ، وإن أبعدكم مني يوم القيامة من بدّل سنتي وبدّل وصيتي . يامعاذ ! إن غاية من يمتنع أن يرجع ، وغاية من يصحب الدنيا أن يتركها ، وغاية من تطول حياته أن يموت^(١) .

قال معاذ : فانطلقت إلى اليمن ، ورجع عني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم التفت إليّ ، فقال لي : يامعاذ ! أما معك عمامة تشد بها رأسك ؟ فقلت : لا يارسول الله ، ونزع عمامته من رأسه وأعطانيها ، ثم انطلقت . ورجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مكشوف الرأس .

قال معاذ : فلما قدمت اليمن اجتمع إليّ الناس ، فجلست لهم ، وقلت : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثني إليكم معلماً . قلت : أنا معاذ بن جبل صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال رجل منهم : أخبرنا

(١) جاء في مغازي الذهبي ، ص ٥٧٧ ، « أن النبي — صلى الله عليه وسلم — خرج يوصيه ، ومعاذ راكب والرسول يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يامعاذ ! إنك عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري . فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : لاتبك يامعاذ ، البكاء من الشيطان » .

ما مفتاح الجنة ؟ فقلت : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : إن مفتاحها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وقلها الشرك بالله . قالوا : سمعنا وأطعنا ، والحمد لله الذي منّ علينا بك . قال : فأقمت معهم اثني عشر شهراً ، وبينما أنا ذات ليلة نائم في مسجد الخيل ، إذ بهاتف يقول : يامعاذ ! ما تنيمك بأرض اليمن وحببيك رسول الله قد فارق الدنيا ؟! قال : فقامت مرعوباً ، وأعلمت أهل اليمن بما رأيت نحو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : أضغاث أحلام ، أتم حتى يعود إليك هذا الهاتف ، فإن عاد إليك ، فتوجه . قال : فلما كانت الليلة الثانية ، إذ الهاتف يقول : يامعاذ ! ما تنيمك في أرض اليمن ، وحببيك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد مات ؟! فقام معاذ وشدّ راحلته ، فاجتمعوا إليه وقالوا : تقيم عندنا يومك ؟ فقال : كيف أقيم ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين أطباق التراب ؟! واحمداه ، ثم أخذ بزمام راحلته وهو يبكي لا يدري أين هو ، ثم جعل يقبل العمامة ثم يقول : بأبي وأمي بركاتها كانت هذه العمامة له ، ثم جعل ينشق ريح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعلا صوته بالبكاء والنحيب ، فحفله الناس ، فقال : ارجعوا ، إن كان ما هتف به هذا الهاتف حقاً ، فقد هلك الأرامل واليتامى ، وصرنا كالغنم لاراعي له ، ثم قال : واحزنه على فراق رسول الله ! ثم مضى سائراً نحو المدينة ، فلما قرب منها وجد عبد الملك بن عبد الله الأنصاري ، صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له معاذ : أخبرني ما فعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فقال : يامعاذ ! قد فارق الدنيا ! فخر مغشياً عليه ما شاء الله ، فلما أفاق قال : لقد أحزن قلبي ، واغماه لفقد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — !! قال : ثم انطلق معاذ ، فلما وصلاً إذ هم ببلال ، فلما رأهم بلال صاح : وامعاذاه ، السلام عليك ، فصاح صيحة عظيمة ظنوا نفسه قد خرجت ، فلما أفاق قال : وعليه الصلاة والسلام ورحمة الله وبركاته ، بأبي وأمي من لم ينسني عند الموت ، بأبي وأمي من ذكرني عند فراق الدنيا . ثم قال : يا بلال ! انطلق بنا إلى قبر رسول الله —

صلى الله عليه وسلم — وإلى بيت أمنا عائشة — رضي الله عنها — فانطلقوا حتى وقفوا بباب عائشة ، فنادى معاذ : السلام عليكم يا أهل بيت الرسالة ، وامصيتاه على فقد الخير والبركة ، ثم جعل ييكى وأهل البيت يكون ، وفاطمة في منزل عائشة وسائر أزواج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت فاطمة : يا عائشة ! هذا صوت معاذ ، ثم قالت فاطمة : يا معاذ سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول عند موته : اقرأوا معاذًا السلام وأعلميه أنه إمام العلماء . قال معاذ : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته . ثم خرج معاذ إلى أبي بكر — رضي الله عنه — وسلم عليه وقال له : يا خليفة رسول الله ! كيف مرّضتم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكيف غمّضتموه ، وكيف كفّتموه ، وكيف سويتم عليه التراب وتركتموه بين أطباق الثرى ؟ واحمداه من لي بعدك ؟! ومن يوصيني بعدك ؟!

ثم قصد عليا — رضي الله عنه — إلى منزله ، فعانقه وعزّاه برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم سألهم : كيف كان مات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فقالوا : بينما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في مرضه في بيت عائشة وفاطمة عنده ، إذ دق الباب رجل ، فقالت فاطمة : من بالباب ؟ ثم دق ثانيا وثالثا ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اسألوا من هو ؟ : فقالت فاطمة : من أنت يا هذا ؟ قال : أعلمي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنني هاذم اللذات ومفرق الجماعات . فقالت فاطمة : وإيتا بعدك هذا . قال : أنا ملك الموت . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : مرحبا يا رسول ربي ، يا فاطمة : ائذني له بالدخول . فدخل وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله ، إن الله أمرني لا أدخل منزلك إلا بإذنك ، ولا أقبض روحك إلا بإذنك ، فإن أذنت لي بالقبض قبضت وإلا رجعت . فقال : يا ملك الموت ، توار عني ساعة حتى ينزل جبريل فيخبرني أين مصير أمتي بعدي . قال : فصعد ملك الموت وهو ييكى حزنا على رسول الله . قال : فهبط جبريل على يمين رسول الله ، وميكائيل عن يساره ، وإسرافيل عند

رأسه ، وملك الموت عند رسول الله ، والملائكة محيطون . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا بلال ! امض إلى فاطمة وقل لها : امضى إلى والدك فلا أدري أتدركيه أم لا . قال : فمضى بلال إليها ، وقال : يا بنت رسول الله ! قومي إلى والدك قبل فراقه الدنيا ! فوثبت فاطمة وتذرعت بذرعها ومضت تقول : واسيدناه ، وأبتاه وايتم ولدي بعدك يا رسول الله ، وانقطاع ظهراه بعدك يا رسول الله ! فلما وصلت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رفع رأسه إليها ، وجعل يبكي إليها وهي تبكي وتقول : وايتاه بعدك يا أبتاه ! فوضع يده على فمها وقال : يا فاطمة ! لا تبكي ولا تحزني وطيبى قلبا ، فقد سألت الله — تعالى — أن يجعلك أول من يلحق بي . ثم قال — صلى الله عليه وسلم — : يا جبريل بشرني في أمتي . فقال : يا محمد ! هم خير الأمم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فقال : يا جبريل ! زدني بشارة فيهم . فقال : يا محمد ! أمتك : يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويعتصمون يوم القيامة وأنت فيهم . قال : يا جبريل ! بشرني . قال : يا محمد أنت أول من تشق عنه الأرض ، وأول مشفع ، وأنت إمام الأنبياء ، وأنت أول من يدخل الجنة ، وأمتك خير الأمم ، وأول من يدخل الجنة من الأمم . قال : ثم نادى النبي — صلى الله عليه وسلم — : يا علي أدن مني ، واحفروا حفرتي في موضعي الذي أموت فيه ، يا علي ! بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، يا علي ! إذا أردت غسلني فيغسلني معك الفضل بن عباس وجبريل وميكائيل يقبلاني يمينا وشمالا ، يا علي ! إذا فرغت من غسلني وحنوطي وتكفيني ، فاخرجوا عني ساعة ، فأول من يصلي الملائكة عليّ ، وهم ملائكة السبع سموات ، فإذا سمعتم أصوات أجنتهم في السماء فصلوا عليّ ، ثم المسلمون فوجا فوجا في موضعي هذا . ثم نادى النبي — صلى الله عليه وسلم — : يا فاطمة ! ادنى مني فدنت منه فضمها إلى صدره وبكى ، ووضع في حجرها . ثم قال : الحسن والحسين ، فدنيا منه وهما يكيان ، فضمهما إلى صدره وقال : يا بني ! ربط الله على قلوبكما بالصبر ، يا بني ! لا تحزنا ، ثم بكى ، وقال : يا جبريل : ادع

إلى ربي يسهل عليّ قبض روحي ، ثم نادى : يا عزرائيل ! قال : لبيك يا رسول الله ، قال : ادن مني لما أمرت ، ففعد جبريل عن يمين رسول الله ﷺ وميكائيل عند رأسه ، ورضوان خازن الجنان بين يديه ، ومعه حلتان من سندس الجنة ، وملك الموت يسل روحه وعرقه يتحدر من جبينه بحرا كرائحة المسك . ثم بسط رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجله وبسط الأخرى وقال : واكرباه ! واغمّاه ! فقالت فاطمة واكرباه بكربك ! واأبتاه ! فقال : يا فاطمة لا كرب على أبيك بعد اليوم . فلما وصلت روحه إلى صدره ، وكان عند رأسه قدح فيه ماء ، فأدخل يده فيه وقال : واشدة كرباه ! ثم بسط يده ومدّ رجله ، وغمض عينيه . ثم انتقلت روحه المباركة — عليها الصلاة والسلام — وإذا به ميت . فنادى مناد من السماء : واحمداه ! واحسرتاه ! اليوم اهتزت سدرة المنتهى ! اليوم مات سيد الأنبياء ! اليوم انقطع الوحي من السماء ! وعرج الملائكة ، وضج المسلمون بالبكاء . قال علي — رضي الله عنه — : فغسلته وكفنته كما أمرني ، والذي بعثه بالحق نبيا لقد كان يتقلب بين أيدينا ونحن نغسله من غير أن نقلبه ، وكان الماء يجتمع على محاجر عينه فأشربه فأورثني الله علم الأولين والآخرين .. فلما كثر البكاء نادى مناد من زاوية البيت : يانساء النبي إن تبكين بعد ذلك تعذبن وإن تصبرن تؤجرين . فقالت أم سلمة : وكيف لانبكي على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد أظلمت منازلنا وانقطع الوحي عن بيوتنا ؟!

فقال علي — رضي الله عنه — : أتدرين من تكلمين ؟ قالت : لا والله . قال : هذا الخضر أتى يعزيكم برسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال علي — رضي الله عنه — : فلما فرغنا من تكفينه ، خرجنا عنه ساعة إلى أن سمعنا خفق أجنحة الملائكة صاعدين إلى السماء ، ومناد ينادي : أعظم الله أجوركم في سيد المرسلين وسيد الأولين والآخرين . قال : ولقد — والله — أغمي على فاطمة من وقت موت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى دفناه في قبره ، فما أفأقت حتى قد فرغنا من دفنه ، فقالت فاطمة : دفنتم

رسول الله ؟ والدي وسيدي ؟ قلنا : نعم . فبكت حتى بلت بالدموع ثيابها وقالت : كيف طابت نفوسكم أن تهيلوا التراب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ ثم قالت :

قل للمغيب تحت أطباق الثري .. إن كان يسمع صيحتي وندايا .
ثم خرّت مغشياً عليها . ثم إنها لم تزل حزينة باكية إلى أن ماتت — رضي الله عنها — .

وبعد رجوع معاذ من اليمن قال عمر لأبي بكر : أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه ، وخذ سائرته منه ، فقال أبو بكر — رضي الله عنه — : إنما بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليجبره ، ولست بأخذ منه شيئاً ، إلا أن يعطيني . فانطلق عمر إليه إذ لم يطعه أبو بكر ، فذكر ذلك لمعاذ ، فقال معاذ : إنما أرسلني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليجبرني ، ولست بفاعل ، ثم أتى معاذ عمر وقال : قد أطعته ، وأنا فاعل ما أمرتني به ، وإني رأيت في المنام أني في حومة ماء ، قد خشيت الغرق فخلصتني منه ياعمر .

فأتى معاذ أبا بكر ، فذكر ذلك له ، وحلف له أنه لا يكتمه شيئاً ، فقال أبو بكر : لا آخذ منك شيئاً ، قد وهبته لك ، فقال : هذا خير ، حلّ وطاب .^(١)

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد أحل له قبول الهدية عندما بعثه إلى اليمن وقال له : « إني قد عرفت بلاءك في الدين ، والذي قد ركبك من الدّين ، وقد طيبت لك الهدية ، فإن أهدى لك شيء فاقبل »^(٢) وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — قد دعا له لما ودعه قائلاً : حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ، ودرأ عنك شرور الإنس والجن .^(٣)

(١) النويري ، المرجع السابق ، ١٩ / ٣٥٧ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) ابن حجر ، الإصابة ، ص ٤٢٧ (الترجمة رقم ٨٠٣٧) .

(٣) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة .

وذكر أبو نعيم في الحلية^(١) أن معاذاً بعد عودته من اليمن التقى في مكة بعمر بعد أن استعمله أبوبكر على الموسم ، وكان مع معاذ رقيق ، فقال معاذ : هؤلاء أهدوا لي هؤلاء لأبي بكر : فقال عمر : إني أرى لك أن تأتي أبابكر . قال : فلقية في الغد . فقال : يا ابن الخطاب لقد رأيتني البارحة وأنا أنزو إلى النار وأنت آخذ بحجزتي ، وما أراني إلا مطيعك قال : فأقى بهم أبابكر فقال : هؤلاء لي هؤلاء لك ، قال : فإننا قد سلمنا لك هديتك . فخرج معاذ إلى الصلاة فإذا هم يصلون خلفه . فقال : لمن تصلون هذه الصلاة ؟ قالوا : لله — عز وجل — قال : فأنتم لله ، فأعتقهم . رواه يزيد بن أبي حبيب وعمار بن غزية عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه .

وكان أبوبكر الصديق — رضي الله عنه — إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه ودعا رجالاً من المهاجرين والأنصار ، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت . وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء أيضاً .

وظل معاذ بن جبل في مكة طوال خلافة سيدنا أبي بكر الصديق يعلم الناس ويلجأ إليه الخليفة في أمر الإفتاء ويستشيريه في كل الأمور ، وخاصة في جمع القرآن من صدور الرجال ومن الصحف التي كتبها بعض الصحابة في مكة وفي المدينة ، حتى ارتحل إلى الشام بتكليف من الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ، وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

(١) الجزء الأول ، ص ٢٣٢ .